محمد حلالس

بعد موتك ستُصبحُ دائِنًا لي

أنا موجود للنشر والتوزيع

• العنوان: **بعد موتك ستصبح دائنا لي.**
• تأليف: **محمد حلالس**
• رسومات الكتاب: **ياسمين فرحات**

• المدير العام: **بلال سرير الحرتسي**
• المنسق الداخلي: **محمد خمفوسي**
• إخراج داخلي للكتاب: **فريق دار أنا موجود**
• الطبعة: **الأولى 1443هـ/ 2022م**

جميع الحقوق محفوظة ©

ISBN :978 _ 9931 _ 799 _ 79 _ 5
الإيداع القانوني: مارس 2022م

مقر الدار: شارع الأمير عبدالقادر/ عين التركي/ عين الدفلى/ الجزائر
للتواصل مع الدار:
anamawjoud24@gmail.com
07.91.21.78.66 / 06.62.18.01.43

مقدمة

من المؤسف جدا والمخيب للأمال ما يريده المرء بشدة ويعجز عن الحصول عليه حب، مال، صحة.. والقلب كالعادة هو الذي يتحمل كل هذا الألم.

هل جربت يوما ذاك الشعور المصاحب لرغبتك في فعل شيء لكن لم تستطع لأن عائلتك لا تفعل مثل هذه الأشياء وجيرانك في الحي لا يفعلون هكذا ومجتمعك سواء، إنه إحساس مروع أن يطلب منك الجميع أن تكون مثل الجميع لكن رغبتك في التغيير رغبتك في الجديد لا تتماشى مع معايير مجتمعهم وهذا يجعلك يا إما الشخص المتوحد الذي لا يتكلم مع أي أحد أو الشخص المتكبر الذي لا يرغب أي أحد في الكلام معه في كلتا الحالتين ستجد نفسك وحدك انت وأفكارك الخارجة عن المألوف.

هل هي فعلا خارجة عن المألوف!؟ هل أفكاري تؤدي إلى إفساد الأشخاص المحيطين بي والذين يسمعونني؟ هل أقوم بشيء حرام بدون أن أدري؟ وأدعي أنني مميز وأفكاري خارجة عن المألوف..

من المرعب ما قد يفعله الإنسان بدافع الحب قد يفعل أي شيء حرفيًا ولو على حساب نفسه من أجل إرضاء الطرف الآخر والمحزن في الأمر أنه لم ولن يتلقى نفس المعاملة في أغلب الأحيان.

كيف يعرف الشريك أنك بحاجة اليه في هذا الوقت وفي هذه اللحظة؟ هل فعلا سيحس بك إذا صارحته بحقيقة مشاعرك؟ هل سيبادلك نفس الشعور؟ وكم ستدوم هذه العلاقة؟

لست خبير في العلاقات بحكم أنني لم أدخل في علاقة حقيقية بالمعنى الحرفي بل كانت مجرد إعجاب تحول الى حب مراهقين وبحكم أنني إنسان عقلاني فوق الحد الطبيعي فلم تدم لوقت طويل.

مثلا كنا في المدرسة منذ الصباح حتى الخامسة مساء عند عودتي إلى المنزل أتلقى رسالة مفادها اشتقت إليك ولا أستطيع العيش دقيقة أخرى بدونك؟!! هههههه لم نفترق سوى لربع ساعة وهل فعلا اشتقت إلي لهذا الحد؟ ألست متعبة من المدرسة؟ أليس هذا مبالغ فيه قليلا مع أن البعض يعشق هذا التخريف؟ سأموت من دونك أنت الأكسجين الذي أتنفسه والماء و..هههه، دائما ما سخرت من العشاق بشكل عام ومن خصوماتهم.

..

الغضب والألم مكان القلب، هذا ما يشعر به كل إنسان مهما كان جنسه بعد الانفصال وأصعب ما في الأمر هو التعلق المصاحب للاكتئاب، هل يستطيع شخص ما أن ينام بعد علمه أنه أحزن إنسانا أو حطم قلب إنسان؟ بالطبع يستطيع، فبالنسبة له هو لم يفعل شيئًا ولا يعلم شيئا عن ما سببه.

قد لا يستطيع البعض النوم من كلمة قالها شخص مميز بالنسبة لهم بدون تفكير، قد يتعرض لأمراض جسمية داخلية القولون وحرقة المعدة وتساقط الشعر كل هذا من كلمة نعم كلمة قلتها بدون تفكير أيها الأغبياء لكن ما باليد حيلة والإنسان اجتماعي ويجب أن يبقى داخل المجتمع، لكن هل يجب أن يخوض هذه التجارب المؤلمة مرة بعد مرة بعد مرة؟ يقال أن الإنسان يتعلم من الصدمات ويقوى نعم أنا أؤكد هذه النظرية لكن ليس كل إنسان ينجح في الاختبار، كل يوم نسمع ونشاهد حالات

الانتحار وحوادث القتل والتي أخذ المراهقون النسبة الأكبر منها وإذا سألت عائلة الضحية سيخبرونك بإحدى الآتي أما الابن أو البنت لم تكن تجلس مع عائلتها على الإطلاق ويصفونه بالمنعزل اجتماعيا المحبوس في غرفته ولم يتوقعوا أنه سيقتل نفسه أو مساكين، أنا لا أصدق أن شخصًا ينجب إنسانا إلى هذه الدنيا ثم يتركه هكذا لا رعاية نفسية لا دعم عائلي وأسري قد يقول بعض الآباء أو الأمهات ليس لدي الوقت لهذه الأشياء بحجة العمل او التهاء بالواجبات المنزلية

هل تعلم مقدار الحسرة التي شعر بها كل الأباء الذين فقدوا ابنائهم؟! لكن من الملام في هذه الحالة أبوين مقصرين ظنا أنهما يؤديان واجبهما بشكل جيد، مجموعة من المراهقين راحت ضحية هذا العالم دائم التجدد والتطور؟

بعد موتك ستصبح دائنا لي اختارت واحد من المراهقين ليروي قصته وتجربته مع مرحلة المراهقة الثانوية والحياة الجامعية وما قد يواجه أي مراهق في بداية حياته وكيف تمكن من التغلب على تلك العقبات والآثار التي خلفتها سواء على شخصيته نفسيته وحياته بشكل عام.

سيعتقد الكثير منكم ممن قرأ عنوان الرواية أنها قصة رعب أو رواية لأسطورة مخيفة، دعني أسألك هذا السؤال وأريدك أن تجيب من أعماق قلبك ولا تخف ستبقى بيني وبينك لن يعرف أحد، طوال فترة حياتك سواء كانت قصيرة او طويلة هل قمت بعمل لطيف لشخص ما وقابله بمعاملة وقحة؟

هل أحسنت يوما لإنسان ونكر إحسانك؟

هل فعلت المستحيل من أجل شخص ما وقابله بلا شيء؟ هل حطم أحد قلبك يوما أبكاك سبب لك الاكتئاب والأرق والحزن؟

هل أحسست يوما أن شخصا ما يدين لك بشيء ليس بالضرورة أن يكون مال أو ودائع؟ أنا عن نفسي قلتها أنه يوجد أشخاص يدينون لي بحياتهم نعم لهذه الدرجة هل هذه نرجسية مني وتعجرف أم واقع لقصة حزينة لم أستطع إخبار أي أحد بها لكني أخبرتك أنت، نعم أنت وحدك سأخبرك بكل ما جرى في فترة مراهقتي وأنا كلي ثقة أنك سوف تفهمني وتحس بي لأنه مررت بإحدى تجاربي..

والآن سأدعك مع القصة أنا متأكد أننا سنتقرب من بعضنا أكثر فأكثر في النهاية.

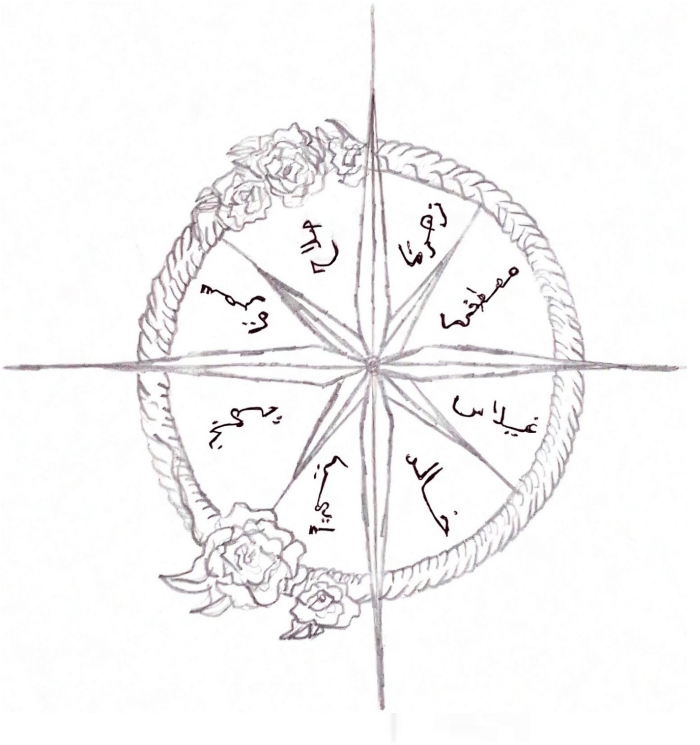

الفصل الأول

حياة جديدة

ثانوية النجاح، في مدينتي تعتبر بمثابة أوكسفورد أو هارفارد يريد الجميع الدخول والدراسة فيها لكنها مفتوحة للمتفوقين وأولاد الأغنياء فقط أو كما يشاع عنها، من حسن حظي أني كنت واحدًا من هؤلاء المتفوقين، أتذكر تلك الليلة التي سبقت دخولي لأول مرة لم أنم حتى لأن الجميع ظل يخبرني بأهمية المكان الذي أنا بصدد الدراسة فيه ومميزاته الكثيرة وتفوقه، فعلا ستشعر بالفخر بمجرد تواجدك بمكان هكذا.. ها أنا ذا ادخل اشهر ثانوية في المدينة غير عالم بأن حياتي ستتغير كليا.. لقد نسيت اخباركم شيء عني وعن شخصيتي يمكنكم محاولة تخيل شكلي أنا

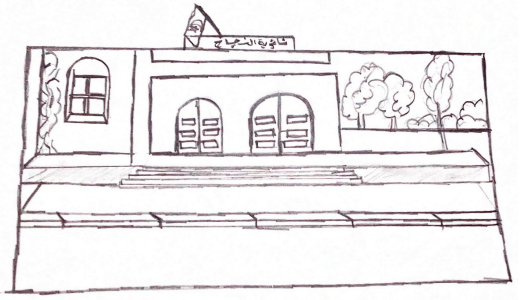

مراهق طويل القامة نحيف ذو ملامح حادة مع عينين بريئتين كطفل صغير هذا تناقض أليس كذلك لكن هذا ما أخبرني به أغلب من يعرفني ذو شخصية ضعيفة أكاد أموت من الخجل من أي شيء، من يقول هذا عن نفسه؟! هههه نعم أنا بكل بساطة لكن ولأول مرة في حياتي أردت التغيير ، قررت أن أصبح إنسانا اجتماعيا وأصبح من الفتية الأكثر شعبية في المؤسسة وهذه فرصتي هاهو أحد الطلاب خارج من نفس قسمي سوف أذهب للحديث معه..

مباشرة من مدخل الثانوية وكحالة كل طالب جديد اختطلت علي مشاعر الخوف والرهبة تقدمت وعرفت عن نفسي:

السلام عليكم أنا اسمي.. طالب جديد معكم ومددت يدي للمصافحة لكن لم يبادلني الطالب الآخر اي ترحيب واكتفى بقول جيد!! وذهب في سبيله واو! كانت أول صدمة في بداية خطواتي لأصبح إنسانا اجتماعيا لأنه من المفروض أننا نحن الرجال تكون محادثتنا أبسط وأسهل لكن لم يسر الأمر بطريقة جيدة هذه المرة..

تم رفع العلم ودخل الجميع إلى أقسامهم لكني بقيت لأنهي بعض الأوراق الإدارية ثم التحقت بقسمي ويا سلام على قسمي. قسم مليء بالأشخاص أتذكر أنه كان أربعة صفوف من الباب إلى آخر الحائط والصفوف ملتصقة ببعضها البعض أظن أننا كنا 50 تلميذ وبحكم أني الجديد كنت جالس آخر الصف..

أنا أتذكر أول حصة درستها كانت مادة العلوم بالرغم من كل الخجل الذي شعرت به حاولت المشاركة في القسم والنشاط كوني تلميذ مجتهد في نهاية الأمر، رفعت يدي للمشاركة واختارتني الأستاذة للإجابة وإذ بالقسم كله يلتفت الي ليسمع صوتي ويراني ويا له من موقف محرج لقد تجمدت من الخوف وبالكاد تكلمت بحيث كنت مركزا مع زملائي وما الذي يقولنه عني..

لم ألق أي تفاعل من قبل زملائي الأولاد لذا تشجعت وكلمت فتاة كانت وحدها والمفاجأة التي لم أتوقعها أنها كانت لطيفة معي وكلمتني بشكل لائق، اهمممم لا بأس بهذا كبداية عدت للمنزل لتناول وجبة الغداء وفي المساء وأنا عائد للثانوية إذ أرى فتاة أخرى أنا متأكد أنها تدرس معي وهي

تبتسم لي ماذا أنها قادمة نحوي وكلها طاقة إيجابية قامت بالترحيب يا إلهي كم كانت لطيفة أنا متأكد أننا سنكون أصدقاء رائعين..

بدأت أحب كوني التلميذ الجديد الجميع يبتسم معي ويرحب بي خصوصا الفتيات لكن أردت بشدة أن يكون لي صديق ولد وليس هناك أفضل من الولد الأكثر شعبية في الثانوية صاحب النظارات، أينما حل تجد المرح دائما محاط بالناس الكثير من الإيجابية والطاقة شاب طويل قوي البنية اينما حل تتبعه الانظار دمه خفيف وفكاهي من قد لا يرغب في مصاحبته ورفقته وبطبيعة الحال ظللت اراقبه من آخر الصف..

لقد سئمت من كوني الفتى المتوحد غريب الأطوار المحب للدراسة فقط أريد أن أكون ذو شعبية أيضا وهذا الفتى سيكون طريقي لذلك..

لكني لم أذهب إليه مباشرة فمجرد التفكير في الكلام معه أخافني، أخافتني فكرة أنه ربما سيتجاهلني مثلما حدث أول مرة.

لكن من حسن حظي أن صديقه المقرب هو أحد معارفي القدامى هذا أحسني بالراحة نوعا ما فطلبت منه مباشرة أن يعرفني عليه ويا إلهي كم كان لطيفا لقد جسد عبارة الروعة في إنسان كان حسن المظهر خفيف الدم ولطيف بشكل جعلني أنسجم معه بشكل رائع والأفضل في كل هذا أنه أعجب بي كثيرا وأراد مساعدتي وطلب مني أن أكون صديقه المقرب واو.. هل فعلا طلب مني للتو أن أصير جزءًا من الشلة هززت رأسي بالموافقة وأنا أكاد أطير من الفرحة وطلب مني انتظاره بعد الصف لنتعرف أكثر على بعضنا؟

كنت جالسا وحدي في ساحة المدرسة لا زلت أتلقى بعض الابتسامات هنا وهناك من بعض الفتيات أنهن لطيفات حقا، هذا الوجه أنه مألوف بالنسبة لي يا إلهي هذه إحدى صديقاتي من الإعدادية أنها فتاة قصيرة

ممتلئة نوعا ما لكنها مرحة كثيرا والحديث معها يسر النفوس نتداول الحديث وندردش مع بعضنا إذ بشاب ضخم وقوي يشدني من كتفي ويقبضني قبضة قوية أحسست أن كتفي انخلع من مكانه وصرخ في وجي قائلا هل فعلا تكلم هذا النوع من الفتيات!

أمالت الفتاة رأسها للأرض وغادرت المكان وكوني كنت خائفا من ذلك الفتى لم أقل أي كلمة واكتفيت بالضحك وسألته عن صاحب النظارات وأخبرته أنه صديقي لأخرج من الموقف المخرج الذي أنا فيه..

لماذا فعل هكذا؟ هذا تصرف وقح جدا سواء لي كتلميذ جديد أو بالنسبة للفتاة المسكينة فلا دخل له إذا كانت ممتلئة أو لا أنا أحببت روحها وخفة دمها! هل هذه طريقته في الترحيب بالجدد أم فعل هذا ليخيفني ويعرف عن نفسه آه يا إلهي إنه أحد الفتيان الأكثر شعبية في الثانوية والأكثر وقاحة وغرور بالنسبة لي، شاب ضخم طويل حسن المظهر يحبه الفتيات ويعامل الجميع بوقاحة كم أكره هذا النوع..

انتهت الاستراحة وعاد كل منا إلى قسمه، بعد الدوام سرت أنا وصاحب النظارات إلى المنزل لقد إنساني ذلك الموقف المحرج الذي تعرضت إليه وأخبرني أنه وجد لي مكان بجانبه في مقدمة الصف كم هذا رائع سأكون في المقدمة جالس بجانب الفتى الأكثر شعبية في الثانوية أظن أن الحظ بدأ يبتسم لي..

يوم جديد، استيقظت ورحت أتفقد هاتفي وأرى أي رسائل وصلتني مثل كل الناس لأتفاجأ بعدم قدرتي على الولوج لصفحتي على الفايسبوك.. لقد تم هكري.

كانت تلك أول مرة يتم اختراق حسابي فيها وكان لم يمض أسبوع على تواجدي بالثانوية فيا لها من طريقة جميلة للترحيب بتلميذ جديد..

لم أفكر في الأمر كثيرا لأنه كان لدي يوم حافل وكما كنت أتوقع أصبح كل شيء رائع أنا أجلس الآن في مكان استراتيجي محاط بالأشخاص الرائعين ولا أجلس وحدي في الاستراحة إذ أصبح يعرفني على كل الأشخاص الرائعين في الثانوية فتيان وفتيات وكان الجميع لطيف ومبتسم لأني مع هذه المجموعة الرائعة فيا لها من بداية جميلة..

لم أكن أعرف في بداية الأمر أنه في تلك الثانوية التلاميذ مقسمين على طبقات، أولا الطبقة الغنية والتي تمتلك الشعبية والسلطة في تلك المؤسسة وطبقة عادية لا أقول عنها فقيرة لا تمتلك لا الشعبية ولا السلطة ومجموعة الداخليين هكذا الجميع يسميهم هم فئة يسكنون في الأطراف البعيدة للمدينة ويقيمون في الثانوية وهم في أدنى الهرم أنا متأكد أنك بعد قرأتك لهذه الأسطر قد تحسب أننا في مملكة في العصور الوسطى لا يا عزيزي نحن في القرن الواحد والعشرين أكيد الجميع ينكر هذا في الثانوية لكننا كنا مقسمين إلى 3 طبقات!

بطبيعة الحال أنا كنت من الطبقة العادية لا أحد يريد أن يعرف أي شيء عنا لكني كنت مميز على ما أعتقد إذا نسيتم أنا كنت من الشلة الرائعة الجميع في تلك المجموعة يلبس أحسن الملابس وأفضل العطور ويذهب إلى أفضل الأماكن ويجب علي ان أواكب كل هذا لأبقى رائع في نظرهم، واو لهذه الدرجة أنت ضعيف الشخصية وتريد إرضاء الناس فقط.. اخرس!

أنا لا أصدق حتى أنني في هذه المجموعة وبدأ الناس يرونني رائعا ربما في يوم ما لم لا سأكون من الفتيان الأكثر شعبية في الثانوية..

لم أكن أهتم كثيرا بلباسي أو العطر الذي أضعه أو طريقة كلامي أو مشيتي كان كل اهتمامي منصب على الدراسة وفقط لكن هذا تغير يجب

أن ألبس بشكل جيد أضع ساعة ورائحة مميزة لكن إذا كنت نسيت لا تمتلك المال للقيام بكل هذا، أنا أتذكر جيدا كم ليلة لم أنم فيها لأنني لم أجد ملابس لائقة للذهاب بها للثانوية كنت أقترض المال من إخوتي أو والدتي لأشتري أي شيء فقط لأتظاهر أمامهم أنني في نفس الطبقة الاجتماعية أو أفضل ويا سلام على مخيلتي الواسعة لقد فتحت باب كبير للكذب بكل أنواعه.

أنا أتذكر تلك الحصة كانت اللغة الفرنسية، أستاذة لطيفة وبشوشة كم أحببتها هذه اول مرة أحب معلمة لغة فرنسية طلبت منا أن نكتب عن رحلاتنا في فصل الصيف وكما تعلمون لم أترك أي مكان في الجزائر وزرته هههه..

لكنها طلبت منا شيء غريب علينا الصعود للسبورة وإلقاءه يا الهي أنا أتحدث أمام 50 تلميذ وأمام الأستاذة وبالفرنسية! هذا محرج للغاية لكن شيء غريب حدث بحيث أنني وبدون وعي مني رفعت يدي للمشاركة بكل ثقة صعدت للسبورة وحكيت عن رحلاتي آه يا ابن بطوطة لعلمكم فقط في ذلك الصيف لم أذهب لأي مكان.إذا كنتم متخيليين أنني قرأتها بفصاحة وثقة فأنتم مخطئون كنت أتحدث بصوت منخفض وأبتسم ابتسامة بلهاء لكنني كنت ما زلت الطالب الجديد لذا هذا كان إنجاز كبير بالنسبة لي.

قامت الأستاذة بشكري وتشجيعي لتعلم اللغة الفرنسية أكثر يا لها من أستاذة لطيفة..

الجميع كان قلق ومتوتر، الجميع يحضر في كراساته وخائف ما الذي يحدث الكل خائف من هذه الأستاذة إنها أستاذة اللغة الإنجليزية لم أحضر أي شيء لأني كالعادة التلميذ الجديد كنت أرى مقدار التوبيخ

الذي وبخته لجميع التلاميذ. الذين لم يحضروا الواجبات ويا الهي إنها تقترب مني لكن لماذا لست خائف منها استجمعت شجاعتي وتكلمت معها كلمتين او ثلاث بالإنجليزية ..miss.. I'm new here

لقد ابتسمت معي أنا لا أصدق أن الأستاذة التي كان الجميع خائف منها ابتسمت معي هذه بادرة جميلة على ما أعتقد..

لقد هممت بالمشاركة عندها وأجبت على أغلبية الأسئلة لقد أمدتني هذه الأستاذة بطاقة غريبة لم أحسها من قبل، بعد نهاية الحصة توجهت نحوها وكلمتها يا إلهي كم هي لطيفة وجميلة كل ما قالوه عنها خاطئ لقد كانت منفتحة للغاية وقامت بنصحي وتحفيزي أنا متأكد أنني سأتفاهم معها كثيرا..

سأخبركم بقصة صغيرة عني مع اللغة الإنجليزية منذ أن كنت صغير أحببت اللغة الانجليزية وبادرت بتعلمها حتى قبل الفرنسية لأننا في الجزائر ندرس اللغة الفرنسية أولا، في الإعدادية كان يدرسنا أستاذ كبير في العمر الجميع تتلمذ على يده كان أستاذ قصير لكن ضخم في نفس الوقت كان أشبه بكتلة من الغضب تتحدث اللغة الإنجليزية الجميع كان يخافه ويخاف حتى التكلم في حصته لم تجد أساليبه في التدريس معنا ربما لأننا كنا نخافه لم نرد أن ندرس مادته لهذا كان كثير النكد والغضب في إحدى الأيام كنا عائدين من الاستراحة دخلنا للقسم ونحن نضحك لأول مرة دخلنا لحصته ونحن مبتسمون وهذا شيئ لم يعتد عليه الأستاذ لم تمر خمس دقائق إذ وجدت الأستاذ قادم لمعاقبتي ويا له من عقاب كيف تجرأ على الضحك في قسمي قال الأستاذ غاضبا!!

لقد بلعت لساني من كثرت الخوف.. أخبرني سبب الضحك!!. مستحيل أن أخبره بالسبب إنه أستاذ في نهاية الأمر.. صب علي جل غضبه فلم يترك

عصا وضربنيبها يده الخشنة ضربتني في كل منطقة من جسمي النحيل لقد سمعت كل أنواع السباب التي لم أسمعها في حياتي والغريب في الأمر أنني تجمدت في مكاني ولم أفعل أي شيء لقد صعق الجميع من هول المنظر كم كانت تجربة مخيفة لا أتمناها لأحد قام جميع زملائي في القسم بالتضامن معي وطمأنتي لكن لن أكذب عليكم كانت تلك بوابتي في عالم الأمراض النفسية والعقد..

لا يوجد مبرر للعنف وخصوصا ضد الأطفال كنت 14 عاما على ما أعتقد هل الضحك مزعج لهذه الدرجة؟هل كرهك لأحد تلاميذك يدفعك إلى تعنيفه لهذه؟ هل تعلم مقدار الألم الذي سببته حتى بعد مرور كل هذه السنوات؟

أظن أنني لن أعرف الإجابة أبدًا..

الفصل الثاني

يوميات مدرسية

تمر الأيام ولم أعد التلميذ الجديد بعد الآن، أصبح الجميع يعرفني صلاح الفتى الذكي الذي يتسكع مع الفتى الأكثر شعبية في الثانوية، كان هذا اسمي حرفيا ولا بأس بهذا أنا أفضله على الذكي المتوحد أو الذكي غريب الأطوار..

إنها حصة الفيزياء، كم أحب عندما ندرس في المختبر كل الأدوات والتجارب أنا فعلا أستمتع بكل هذا أكثر ما يلفت انتباهي هو أستاذتي ومدى تمكنها في كل تلك العلوم والحسابات الدقيقة كم هي ذكية فعلا أنا دائما كنت أخبرها أنها ستستحق لقب برفسورة وهي فعلا تستحق لكنها صارمة جدا ولا تحب المزيح أو الكلام الزائد أنا فعلا كنت احترمها، لكن الشلة لم تكن على علاقة جيدة بها وكان هذا أول تصادم بين الشلة والأساتذة أكون أنا وسط فيه..

بعد انتهاء الحصة ذهبت لأعتذر من الأستاذة على ما حصل وأخبرتني أنه إذا أردت النجاح فعلي بالابتعاد عن هذه الفئة وطلبت مني أن أعدها بذلك ففعلت..

هل أنت تمزح!! أنا ولأول مرة أكون عنصر فعال في مجموعة رائعة والآن تطلب مني أن أبتعد عنهم آه يا رأسي أنا لا أستطيع أن أقرر..

أذكر جيدا أنه في القسم الذي كنت أدرس فيه كانت تلعب لعبة معروفة باسم حقيقة أو جرأة وما أكثر الجريئين والجريئات في القسم كنا نلعبها كل يوم تقريبا لا أعرف حتى لم كنت ألعبها ربما لأننا كنا مراهقين ونحب أن نتهور ونقوم بأشياء سخيفة أنا لم أفهم نفسي بعد..

فتاة سمراء جميلة نحيفة كانت تجلس خلفي كانت الوحيدة التي أعجبتني من كل الموجودين هناك كنت أرى الجميع يتشجع ويعترف بمشاعره وطيور الحب في كل مكان لكن هل أتشجع وأعترف بمشاعري مثل الجميع

لأني قررت أن أبدأ كل شيء من جديد؟ لا، هناك أشياء لم أستطع أن أغيرها في نفسي لا بأس بهذا سآخذ وقتي في التقرب منها..

يوم جديد حصة جديدة.. أين هو الأستاذ؟ أعتقد أنها حصة الشريعة أتت الأستاذة متأخرة وفي يدها أوراق امتحان ماذا امتحان..؟؟! نحن لم ندرس شيئا في ماذا سنمتحن؟!ا ههه مكتسبات قبلية قالت الأستاذة. وبطبيعة الحال أجبت على كل الأسئلة بسهولة وأثرت إعجاب الأستاذة.

ولأكون صريحا معكم كانت تلك الطف وأحن أستاذة درستني في حياتي كم أحببتها من أول مرة كم نحن بحاجة الى هاته النوعية من الأساتذة التي تحببك اكثر في المادة وكانت الأيام كفيلة بجعلنا نتقرب أكثر ببعض وهذا ما سنعرفه في الفصول المقبلة..

إنه المساء وأنا اشعر بالتعب لكن الفوضى كبيرة في القسم، إنها ليست فوضى الجميع متحمس لحصة الموسيقى؟ إنها أفضل حصة في الأسبوع.. فعلا لماذا؟ لكني فهمت السبب أستاذة الموسيقى..

امرأة في مقتبل العمر خفيفة الدم تجد فيها روح البراءة والنشاط والحيوية كيف لا يحبها الجميع إنها فعلا أفضل حصة في الأسبوع..

أنا كشخص في ذلك الوقت كنت أتأثر كثيرا بالإشاعات لدرجة أنني قد لا أنام ليلة كاملة من كلمة قيلت لي أتذكر أول إشاعة كنت سمعتها أنه تم قبولي في المدرسة لأني حبيب إحدى بنات مدير إحدى المؤسسات في المنطقة لقد كنت أستشيط غضبا لأنني تعبت كثيرا حتى تم قبولي في تلك الثانوية لا أريد أن أسمع هذه التفاهات علي قطع علاقتي بتلك الفتاة في الحال..

حصة التربية البدنية لم أحب يوما الرياضة ليس لأني كسول ولا أحب الاعتناء بجسمي بل لأن هذا أكثر مكان يتم التنمر علينا فيه، اجتمعنا في

الساحة وعلامات الاستغراب بدت على وجهي، ليس لدينا مدرب قوي البنية بل تدرسنا مدربة امرأة وقفت في منتصف الساحة ذات ملامح جادة وصارمة كلها حماس ونشاط تنادينا لتخبرنا كيف ستسير الأمور حاول بعض الأولاد المشاغبين إزعاجها كون هذه المادة يتم تدريسها غالبا من قبل الرجال لكنها دائما ما كانت تتعامل مع هذه الأمور بصرامة وذكاء حاولت التحدث معها لكنها لم تتحدث معي بشكل جيد ربما حسبتني مثل الأولاد الآخرين يجب أن أكسب ثقتها..

لقد خطر ببالي سؤال أود أن أطرحه عليكم وأتمنى من كل واحد أن يجيب بصدق هل صادفت في حياتك شخص ما وأحببت التقرب منه سواء ذكر أو أنثى لكنك غيرت رأيك لسماعك عما يقوله الناس عنه؟ وخفت أن يتكلم الناس عنك بالسوء لمجرد حديثك معه؟

أتذكر ذاك اليوم أخذني صاحب النظارات الى القسم المجاور وعرفني على فتاة لم تكن كغيرها من الفتيات لا توجد فتاة تعادلها في النشاط والحيوية ولا في خفة الدم لقد ضحكنا كثيرا كم أعجبت بها وأردت مصادقتها لقد استمتعت بالحديث معها بعدما عدت إلى القسم سألت بعض أعضاء الشلة عنها ويا ويلتاه عما أخبرني به لا أصدق أنني كلمت فتاة كهذه من الجيد أني سألت عنها سأقطع علاقتي بها لكن قصتها لم تنتهي ستعود من جديد في الفصول القادمة..

أكثر ما كان يزعجني في العلاقات أنني كنت دائما طرفا وسط بحيث أكون صديق مشترك سواء للبنت أو الولد وعندما يقع أي خلاف أكون أول من يلجؤون اليه لحل الخصام كيف أكون عادل دائما بحيث لا أظلم أي طرف من أصدقائي؟ ببساطة مستحيل لكنني بكل صراحة كنت أنحاز أكثر للفتيات لا أحب أن تلجأ إلي فتاة وأخذلها، لا أحب فكرة أن يتم

احتقار فتاة أمامي لكني ضد فكرة العنف أكيد، أنا أؤمن بفكرة الحلول السلمية وأسعى لتطبيقها دائما.

سارة، إحدى زميلاتي في القسم فتاة خجولة بالكاد يسمع صوتها قصيرة وضعيفة البنية كانت على علاقة مع أحد أصدقائي سامي، إحدى مشاغبي القسم كتلة من الغضب والمشاعر السلبية ومدمن مخدرات على حسب معرفتي به ولكم فكرة تخيل هذه العلاقة أنا أعلم أنهما يحبان بعضهما كثيرا لكني متأكد أنه من يحبك يستحيل أن يؤذيك بأي طريقة، دائما ما أدخل للقسم أجده يضربها ويحتقرها ويعاملها بوقاحة المشكلة أمام القسم كله، لماذا لم يتحدث أحد؟ لماذا كل هذا المنكر؟ هل ستسمح بحدوث كل هذا لأختك!! همس أحد في أذني أنها قابلة بكل هذا ولا زالت تحبه، مستحيل، لا يمكن السكوت عن هذا..

بعد حديث مطول مع سارة استمر عدة أيام استخلصت أنها ليست راضية بمعاملته لها بهذه الطريقة لكنها وجدتها طريقة لتهرب من العذاب التي تعيشه في منزلها ومع والديها لتجد نفسها في عذاب آخر وما أشد عذاب الحب..

كم أكره الوالدين الذين يدخلون أبنائهم في مشاكلهم الخاصة ألم تجدوا أي طريقة لتحلوا بها مشاكلكم بأقل الأضرار الممكنة، ألا تعلمون ما تخلفه هذه المشاكل من عقد وأزمات نفسية على الأبناء..

نفس القصة بالنسبة لسامي المسكين الجميع يظنه آفة اجتماعية يجب التخلص منها لكنه كان ضحية والدين مقصرين ومجتمع لا يرحم..

لقد حاولت بكل ما أوتيت من قوة أن أجد حلا يرضي الطرفين لكنه هذه المرة قام بشيء فاق حدود الجنون أتذكر أننا كنا ندرس في حصة الفيزياء فأخذ حقيبة سارة وأخذ يرمي في حاجياتها في كل مكان لا أظن أنه كان في

وعيه عندما قام بهذا وهي تصرخ لأول مرة في القسم هذه الصرخة خرجت من أعماق قلبها مفادها توقف!.. توقف عن كل هذا الألم فقد بلغ السيل الزبا..

وإذا لا زلتم تتذكرون أننا في حصة الفيزياء ولا توجد أستاذة أكثر صرامة منها والتي بدورها لم تقصر في معاقبته..

مجلس تأديبي مباشرة مع طرد مؤقت وبلا أن ننسى سلسلة لا متناهية من التوبيخات، لا أعرف حتى على من أشفق لكن في هذه الحالة أنا مع سارة المسكينة لا أحد يعلم مقدار الخوف الذي تحس به..

تلميذ جديد من ولاية أخرى نحن كفاية فوق الحد المسموح لماذا لا يزالون يقبلون المزيد من الطلبة، الجميع يلقبه بغريب الأطوار منعزل لا ينزع السماعات عن أذنه ولا أحد سمع صوته لحد الآن، يا إلهي كم يذكرني بنفسي ذهبت بالترحيب به والتعرف عليه لأني أعرف إحساس الوحدة جيدا أخبرني أنه انتقل حديثا من ولاية مجاورة ولا يعرف أحد هنا لذا تكبدت أنا عناء تعريفه بالمدينة وبكل الأشخاص الرائعين هنا واو أصبحنا مقربين كثيرا من بعضنا لدرجة أنه لا ينزع يده عن ذراعي أينما تحركنا هذا مزعج نوعا ما لكنه ارتاح معي ولا مانع لي في ذلك كنا نتبادل أطراف الحديث وأخبرني أن عيد ميلاده بعد فترة قصيرة وكبادرة حسنة مني اشتريت له هدية بسيطة فقط ليتذكرني بها ويا إلهي كم فرح بها وأخبرني أنني الوحيد الذي تذكره حتى عائلته ولم تتذكره واو كم أشعرني هذا بالرضا عن نفسي..

مرت الأيام وبدأ صديقي الجديد بالانفتاح أكثر وبدأ يطلب أشياء أنا بدت لي غريبة كان نقوم بتدخين الشيشة والسهر لوقت متأخر من الليل وأنا كوني لم أقم بهذه الأشياء من قبل كانت إجابتي دائما بالرفض شيئا

فشيئا وجدنا أنفسنا لم نعد نتحدث حتى مع بعضنا بعدها اكتشفت أنه وجد رفقة جديدة لهذا لم يعد يحدثني حتى أنه أصبح يغير الطريق عندما يراني واو هذه وقاحة كبيرة هل يفترض بي أنني سأنسى ما فعلته فعلا لقد أحزنتني فعلتك..

اجتزنا امتحانات الفصل الأول والثاني والتي تفوقت فيها بكل جدارة وها قد جاءت فترة التخصصات يجب أن أختار بعناية ودقة فهذا سيحدد مستقبلي للأبد..

ككل العائلات في الجزائر أرادت عائلتي أن أدرس تخصص يمكنني من الالتحاق بكلية الطب لكني كنت رافضا للفكرة رفضا قاطعا دائما ما كنت أميل للاقتصاد ورغبت فعلا بدراسته. لكن هذا التخصص يدرسه فقط المشاغبين والذين لا يدرسون بشكل جيد في نظر عائلتي فاخترت أن أكمل دراستي في تخصص تقني واخترت أن أدرس الهندسة المدنية على الأقل هذا التخصص رقم واحد في الأولويات والجميع يحلم بدراسته وجميع تلاميذه محترمين وتتم معاملتهم معاملة خاصة وهذا ما كان يناسبني تماما في تلك الفترة..

لقد فرحت كثيرا عندما علمت بقبولي في التخصص الذي اخترته لكني استأت بشدة لأن هذا يعني تفكك الشلة وخصوصا صاحب النظارات لقد درس الاقتصاد وأنا درست الهندسة ما الذي سأفعله بدونه وأنا كنت لا أبرح الى أي مكان من دونه كيف سأحافظ على روعتي بدون الشلة ما الذي سيحدث لي في هذه الثانوية أنا عن نفسي لا أعرف الإجابة على هذه الأسئلة حاليا وسأدعكم مع فصل جديد وقصة جديدة.

الفصل الثالث

مشتاق مسؤولية

عدنا للدراسة بعد عطلة صيفية طويلة ومملة، قسم صغير أظنه ربع قسمي السابق وعدد قليل من التلاميذ كنا 10 ثلاث أولاد وسبع بنات وهذا رقم صغير جدا مقارنة بالسنة الماضية..

عام جديد وجوه جديدة بحاجة إلى شخصية جديدة وإذا كنت تعلمت شيئ من العام الماضي أنه أستطيع أن أعيش لوحدي بكل سهولة ويسر لست بحاجة لأي أحد لا الشلة الرائعة ولا صاحب النظارات لا أريد أن أكون ظلا لأحد سيتغير كل شيء من الآن..

استجمعت شجاعتي وتكلمت مع كل زملائي الجدد واحد من الأولاد كان صديقي من العام الفائت شاب نحيف ذو شارب كثيف شخص لطيف جدا اخترته للجلوس معي وغير دار أن هذا الغريب سيكون سندي ورفيقي في معاركي القادمة والأيام أثبتت ذلك..

أما بالنسبة للولد الآخر فكان فتي طويل سمين حاولت التحدث معه لكنه لم يبادلني الحديث أظن أنني لم أرقه لن أبذل مجهود معه وسأنهي قصته هنا.

جميع الفتيات ينصتن بإمعان وهدوء ما الذي يحدث.. اهه إنها سميرة واحدة من أغنياء المدينة تحكي عن رحلاتها في فصل الصيف إلى تركيا وتريهم الصور والهدايا التي اشترتها كانت تتكلم بطريقة راقية ومهذبة إنها فتاة رائعة لقد تكلمت معها..

الكثير من الأفكار تجول في بالي يجب أن أنظم أفكاري وأحافظ على هدوئي واتزاني أمام زملائي لأكسب احترامهم وكان أول شيء أردت القيام به هو أن أكون رئيسا للقسم..

طرحت الفكرة في القسم وكان الجميع موافق إلا واحدة.

سمرة، فتاة قصيرة ذو ملامح حادة جدا كنت أحاول قدر المستطاع أن أتحاشاها لأنها معروفة في المؤسسة بسلاطة لسانها أو بمعنى آخر وقاحتها وكلماتها الجارحة.

العام الماضي قامت بالتشاجر مع أحد أولاد قسمها ليقوم الآخر بصفعها لترد له بصفعتين واو كم هي جريئة أنا فعلا لا أريد مشاكل معها..

أنا أريد أن أكون رئيسة للقسم.. قالت سمرة، أجبتها بكل هدوء وثقة أنني أريد أن أكون الرئيس وقمت بطرح أفكاري عليها أريد أن أكسبها في صفي قبل أن تتفاقم الأمور بيننا وهو ما ستؤول اليه الأمور للأسف..

المزيد من التلاميذ..ماذا؟!! كنا عشرة كفاية لماذا أضاف المزيد ثلاث أولاد حسنا لا بأس بتعديل الكفة قليلا.

كنت قد أقمت حملة لجمع التبرعات من أجل تزيين القسم هذا أفضل شيئ أقوم به لأبين للكل أني رئيس جيدا لكن ربما قد تحمست قليلا للموضوع وعاملت القسم بصرامة زائدة لم يتقبلها البعض ولكني أردت بشدة أن نزين القسم وأردت من الجميع أن يمتثل لأوامري دون نقاش..

جمعت مبلغ لا بأس به وقمت بشراء كل ما أحتاجه لتزيين الطاولات وأردت من الجميع أن يشارك كان الجميع متحمسا وخصوصا تلك الفتاة..

نجمة، فتاة متوسطة الطول عيناها كبيرتان كانت تمتلك طاقة كبيرة وكانت شديدة الابتسام وكانت تساعدني كثيرا يا الهي كم أعجبت بها، لا وقت لدي لهذه الأشياء يجب أن أفرض نفسي أمام زملائي لأكون قائدا ناجحا..

لن أكذب عليكم لقد صببت كل قلقي على شكل غضب للتلاميذ الذين لم يحضروا المال للمشاركة في تزيين القسم ولم أقبل بأي أعذار وكانوا

ثلاثة، التلميذان الجديدان والفتى البدين لا أعرف حتى ما مشكلته معي لماذا لا تتعاون معي!!؟ أنت فعلا تلعب على أعصابي..

حصة الفيزياء هذه المرة أستاذ جديد هذه أول مرة يدرسني شاب صغير في السن مادة كهذه طويل ذو جسد رياضي وملابس شبابية هذا هو التجديد الذي أبحث عنه أنا متأكد أننا سنتفق مع بعضنا لكني كنت مشغولا بالقسم والتزيين ومعاقبة المقصرين ونجمة، شراء قفل للقسم، يا الهي كم أشعر بالضغط سأحدثكم عنه اكثر في الفصول القادمة..

لقد انتهيت من تزيين القسم مع نهاية اليوم الدراسي وكانت تنتظرني مفاجأة لم أكن بحاجة إليها فعلا في تلك اللحظة، هل تذكرون التلميذ الذي قام بتعنيفي في أول يوم دراسي لي حسنا سأسميه خالد، احزروا ماذا؟!

خالد كان معجبا بنجمة معجبا جدا بها وقد أتى إلى القسم ليثير إعجابها ويغيظني بطبيعة الحال أشرت الى سمرة لتخرج من القسم كي لا يبقيا فيه في الداخل لكنها تجاهلتني وقامت بإطلاق دعابة عني أمام وجهي!!

سميرة أنا متأكد أنها ستقف في صفي..لقد تجاهلتني هي الأخرى وأرتني وجهها الثاني الذي لم أره عندما حدثتها في المرة الأولى ولعلمكم أنني سأرى هذا الوجه كثيرا..

كنت متعبا بشدة وأعصابي تعبانة لم أجد أي حل سوى ترك المفتاح عند أحد الداخليين وطلبت منه غلق الباب عندما يخرج الجميع..

كان هذا أول يوم لي كمسؤول لم يسر أي شيئ كما خططت له هل سمرة تخطط لانقلاب ضدي؟؟ هل قبلت نجمة بمصاحبة خالد؟؟ هل كنت مخطئا بشأن سميرة هل هي كوبرا متشكلة في صورة ملاك بريئ؟؟ ولم أحس أن الجميع ضدي؟؟؟ صدقوني لم أنم في تلك الليلة..

استيقظت باكرا كعادتي جهزت نفسي ملابس جيدة عطر فاخر وساعة كلاسيكية أنا أفعل هذا من أجلي لأني أستحق هذا ليس لإرضاء أي أحد، تم رفع العلم وعدنا للقسم وها هي الضربة القاضية..

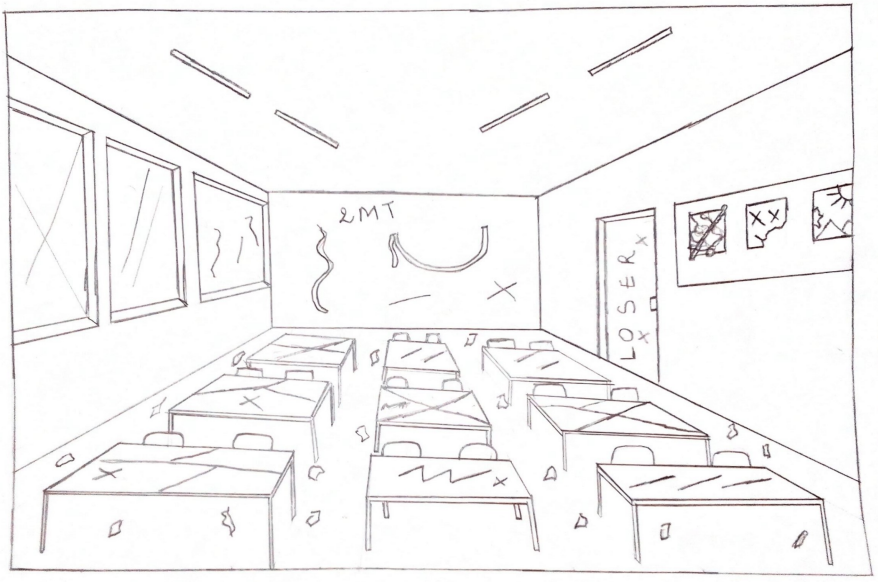

لقد تم تخريب كل ما صنعنته البارحة كل شيء؟ الطاولات وخصوصا طاولتي هي من تلقت الضرر الأكبر كأن جرعة من البغض كانت موجهة نحوي، الجميع كان ينظر الي ليرى ردة فعلي لكني كنت متعب بشدة ورؤية كل تعبي ذهب هباء أخذت آخر ميليغرام من طاقتي..

نظرت إلى سمرة نظرة فيها غضب شديد وضعف في نفس الوقت، لماذا سمحت بحدوث هذا؟!! أقسمت أن لا يد لها فيها وأنها تعرف من فعل هذا، الجميع يعرف من فعل هذا حتى أنت من تقرأ كتابي وتعرف من فعل هذا.. خالد!!

اهه لقد نسيت سارة وسمرة وخالد من القسم المجاور أي أنهم لم يدرسوا معي العام الماضي، وخالد لم ينتقل بل أعاد السنة، أظن أنها مسرحية فقط لإغضابي ودفعي للشجار معه، سأقوم بشيء غبي فعلا سأندم عليه مستقبلا..

استسلمت بكل بساطة، هل كنت تتوقع مني أن أذهب وأتشاجر مع خالد؟ هل نسيت أنا صالح وهو خالد هو أضخم مني بثلاث مرات؟ فقط استسلمت وطلبت منها أن تكون رئيسة للقسم وسنرى أين ستؤول الأمور..

أما بالنسبة لي فلا أعرف أين أخطأت، ولماذا يحدث كل هذا لي؟ ربما من الأحسن أن أركز في دراستي فقط وهذا ما قمت به لمدة طويلة جدا.

..

توضيح.

بالنسبة للذين لم يفهموا العنوان مشتاق مسؤولية هو مثل جزائري يقال للشخص الذي تحمل المسؤولية لأول مرة في حياته ولم يعرف كيف يتحملها، بمعنى أدق أن يتغير الشخص 180 درجة لمجرد تحميله بعض

المسؤوليات فيصبح وقح في التعامل مع الناس ويعتبر نفسه أفضل وأحسن من الناس وهذا داخل في النرجسية والغرور فيعتقد أنه بمجرد كونه المسؤول يجب على الكل أن ينصاع لأوامره وينفذها حرفيا. غير دار بأن هناك فرق بين القائد والمسؤول، حاليا تقام الكثير من الدورات والكثير من الكتب التي تدرس القيادة على أصولها والكثير من الجروبات في الفايسبوك أنصحكم بمتابعتها.

الفصل الرابع

الهندسة المدنية

حصة الهندسة المدنية، أنا لا أفهم حتى ماذا تعنيه هذه الكلمة لم أحضر أول حصة لأني كنت مشغول لا أتذكر بماذا، الجميع يتحدث عن هذه الأستاذة لماذا هي غاضبة أنها أول حصة صرخت في وجه الجميع وحذرتهم من صعوبة هذه المادة. ومن استحالة أخذ علامات جيدة عندها إذا لم نتبع نهجها هذا مخيف نوعا من الجيد أني لم أحضر الحصة..

تلميذتين جديدتين أنا أعرف إحداهما أنها إيمي غريبة الأطوار سأتحدث عنها في فصل كامل وحدها أما الثانية فلا أعرفها لكنها كانت تدرس في القسم المجاور..

بالنسبة للذين لا يعرفون مادة الهندسة المدنية هي مزيج بين الرياضيات وقوانين الفيزياء تتطلب الكثير من التركيز وإتقان الرسم والذكاء ولا أظن أنني كنت أستطيع أجمع بين كل هذا..

ما هذا الرسم الغريب؟ هل يفترض أن أرسم مثله؟!! ما كل هذه الزوايا؟! يستحيل أن أفهم كل هذا، ربما اكون قد تحمست قليلا وقلت كل هذا للأستاذة من باب المزاح لتنفجر الأخيرة من الغضب وتغادر القسم يا له من موقف محرج..

تقربت مني التلميذة الجديدة وعرفت عن نفسها لكني بكل صراحة لم أكن أريد أن أعرف شخصا آخرا بعد ذلك الموقف..

ما الذي جاء بك إلى هنا؟ أليس قسم العلوم أفضل وأحسن؟؟ سألتها فردت أنها مقتنعة بما تفعله واستمرت في التعريف بنفسها، فتاة قصيرة نحيلة أحسست أنها تريد أن نتقرب من بعض لكني لم أبد أي شيء من جهتها في بداية الأمر واكتفيت بالاستماع والتعليق.

تلميذ جديد وفي نفس الحصة حصة الهندسة المدنية، كنا مساء والجميع متعب والأستاذة كعادتها تشرح بغضب وتصرخ في وجه الجميع يا إلهي لم كل هذا الغضب..

فتى متوسط الطول سمين قليلا يرتدي نظارة لكنه مختلف كل الاختلاف عن صاحب النظارات لا شيء رائع فيه أظنه واحد من الأذكياء غريبي الأطوار سأتجاله وأركز مع الدرس لكنه قام بشيء غريب قليلا أظنه لا يعرف كيف تسير الأمور هنا لقد قام بالمزاح مع الأستاذة!! يا له من مسكين لقد وبخته أسوأ توبيخ لكن لم يتوقف الأمر هنا لأنه لم يسكت وقام بالشجار معها لتقوم الأخيرة بطرده من القسم، هذه المرة الوحيدة

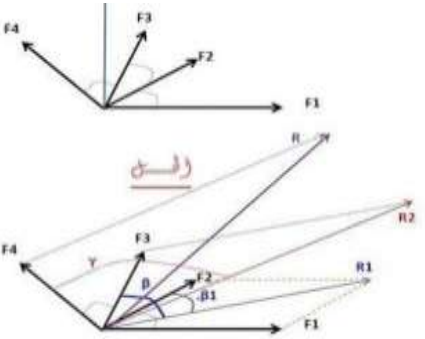

التي فعلت الأستاذة شيء جيدا لنا كنا كم كرهت هذا الجديد أتمنى ألا يأتي المزيد من التلاميذ لنا..

التقني رياضي هي شعبة من شعب التعليم الثانوي العام والتكنولوجي تنبثق عن الجذع المشترك علوم وتكنولوجيا وتتفرع الى اربع اختيارات:

هندسة مدنية، هندسة كهربائية، هندسة ميكانيكية وهندسة طرائق، في الثانوية التي درست بها توجد فقط الهندسة المدنية لذلك لم يكن لنا أي بديل عنها..

اجتزنا امتحانات الفصل الأول وأريدكم أن تحرزوا نقاطنا في هذه المادة.. لا أحد وأعني لا أحد تحصل على علامة!!

أتذكر جيدا تحصلي على علامة 20/6 في الهندسة المدنية! الجميع يلقبها ب égénéاي الهندسة السهلة، ما هي المشكلة معنا؟ لماذا لسنا مثل التلاميذ الآخرين؟ لا يمكننا السكوت عن ما يحدث ويجب أن نجد حلا معا..

كانت هذه أول مرة منذ حادثة تخريب القسم أقوم فيها وأناشد الجميع بالاستماع إلي وهذه المرة لقيت كل الأذان مصغية إلي، هل أنتم راضون عن هذه العلامات؟ هل أنتم راضون عن هذه المعاملة؟؟ نحن التقني رياضي لا أحد يحط من قدرنا نحن الأفضل في هذه المؤسسة من معي لوضع حد لهذه المهزلة.. رفع الجميع أيديهم بالقبول وكانت تلك بداية أول ثورة منظمة أقودها في حياتي..

اتفقنا على مقاطعة الأستاذة وقمنا بحملة شرسة ضدها في الثانوية ومصادفة اتضح ان القسم النهائي يفعل نفس الشيء بنفس الطريقة إذا اتحدنا معا سنصل إلى مرادنا.

اشتهرت قصتنا في الثانوية وكثرت الأحاديث عنها لم نترك أي أستاذ أو عامل إداري أو تلميذ إلا وأخبرناه بالقصة وحرضناه ضدها فعلا لقد جسدنا التعاون باهى صوره..

في إحدى الحصص دخلت الأستاذة وهي تبكي متفاجئة من مقدار الإشاعات التي سمعتها عن نفسها وعن مقدار الضغط الذي سببناه له واكتفت بقول حسبي الله ونعم الوكيل فيكم جميعا..

الجميع كان سعيدا بنجاح الحملة وأنا على رأسهم لكن في أعماق قلبي أحسست أني قمت بخطئ كبير سأندم عليه كثيرا لأننا سنعرف جزأها من القصة في الفصول القادمة..

الفصل الخامس

خطة بديلة

بعد نجاح الحملة عاد الجميع إلى حياته الطبيعية وأنا عدت لدراستي الصعبة والمملة لكني لاحظت شيئا غريبا منذ الصباح وسمرة جالسة من خلفي تحاول أن تفتح أي حديث معي وتجاملني لكني لم أنس ما فعلته بي آخر مرة تعاملت معها، صالح أريد أن أعترف بشيءٍ.

قالت سمرة: تفضلي كلي آذان صاغية وكانت المفاجأة شيء لم أتوقع سماعه..

لقد قامت بالاعتذار مني عن كل ما فعلته وأخبرتني أنها كانت مخطئة فيّ وأنها سمعت لكلام الناس وكلكم يعرف لمن استمتعت بدون ذكر اسمه وإنها من طلبت من الفتيات الوقوف ضدي لكنها أقسمت أنها لم يكن لها يد في تخريب القسم بل وبالعكس أرادت أن تتنازل على رئاسة القسم لي هي لم ترد أن تتحمل كل هذه المسؤولية فقط أرادت أن تحمل كراس القسم من وإلى الإدارة.

وكبادرة حسنة طلبت مني أن نعيد تزيين القسم من جديد وهذه المرة لا توجد انقسامات أو معارضة سنفعل كل شيء معا لكني سأتولى مهمة التنظيم والتسيير ما دام الجميع يرغب في ذلك..

دونت مجموعة من الملاحظات وصعدت إلى السبورة هذه المرة كلي ثقة باستجابة زملائي لأني سأحاول بطريقة أخرى أن أكسبهم في صفي كلهم..

زملائي.. زميلاتي!

أعلم أننا لم نكن على وفاق وأعلم أنني لم أعاملكم معاملة حسنة من غير قصد ربما بسبب الضغط أو عدم اعتيادي لهذه الأمور لكن هذه المرة أنا أطلب منكم كلكم أن تتعاونوا معي أنا بحاجة إليكم ولا أستطيع أن أفعلها بدونكم سنقوم بدهن القسم وتغليف الطاولات وشراء

الديكورات وسنفعل كل هذا معا من معي.. نحن معك كانت تلك من اكثر اللحظات التي أحسست أني قريب من زملائي لهذه الدرجة.

بعد جمع المال اللازم طلبت من سمرة ونجمة أن ترافقاني وصديقي لنختار اللون والأغلفة وكل الديكورات سار كل شيء بشكل رائع واتفقنا أن نأتي السبت لنقوم بكل العمل..

جاء السبت وكنت أكثر زملائي حماسا لدرجة أني أتيت ساعة كاملة قبل الوقت المحدد لم أستطع الصبر قمت بتغيير ملابسي استعدادا للدهن وبدأ أصدقائي بالحضور حتى وصل الجميع، لقد اتفقنا أن يقوم البنات بتغليف الطاولات وأنا أقوم بالدهن ويقوم الفتية ببعض الأعمال الإضافية هنا وهناك كان كل شيء يسير كما خططت له لأول مرة كان الجميع متفاهم وسعيد، لكن..

لا أعرف إذا ما كان يحدث معي مصادفة أم قدر سيء أم شيئًا آخرا، بدون دعوة وبدون سابق إنذار جاء خالد مع واحد من أصدقائه؟!! هل تمزح معي طلبت من الجميع أن يلتزموا الصمت هل خانوني مجددا؟ علي أن أتعامل بذكاء مع كل ما يحدث وأتحكم في زمام الأمور، تناسق جميل في الملابس يا صالح لا أصدق أنك تستطيع الدهن فعلا!!

قال خالد: دعني أساعدك، أنا لا أرغب في وجودك هنا حتى ما أدراك تساعدني، تركته يدهن مرة أو اثنين، وإذا كنت نسيت هو ليس هنا من أجلك بل يفعل كل هذا ليثير إعجاب نجمة أكثر، آخ كم أكره هذه التصرفات..

دخلت إحدى زميلاتي في القسم تستشيظ غضبا أخبرتني أنه أكل كل الطعام والكعك الذي احضرنه لتناوله بعد انتهاء العمل وفوق الطاولات المغلفة، افعل شيئا!! قالت لي:

أنا لا أريد أن أتشاجر معه وهو هنا فقط من أجل نجمة، لماذا هي قادمة نحوي؟

كان يحاول مداعبتها لكنها رافضة للفكرة اختبأت ورائي وكأنها احتمت بي أو ما شابه لكنه انتهز الفرصة لينقض علي أكره عندما يفعل هذا..

أريدك أن تخرجوه بأي طريقة طلبت من الفتية، لكن بدون نتيجة، طلبت من نجمة أن تخرجه فخرج وتركنا في وسط الفوضى، يا له من مفسد للمتعة..

أدخلت الجميع إلى القسم وأفرغت جل غضبي عليهم..

طلبت منكم شيئا واحدا ألا تخبروا أحدًا بالأمر وخصوصا هو أنا لست هنا لأعامل بوقاحة من طرفه ولا أقبل من أي أحد أن يهينني، أقسم الجميع أنهم لم يدعوه لكن كل الأنظار كانت مسلطة على نجمة والتي أقسمت أكثر من مرة، إنها لم تدعوه وصدقتها بطبيعة الحال، لكني سأكتشف من فعل هذا لكن بعد أن ننهي مهامنا..

فليعد الجميع إلى موقعه سننهي هذا العمل اليوم.. قلت لهم بحماس: أنهى الفتيات من تغليف الطاولات وهممت بإنهاء الدهن قامت مجموعة أخرى بالتنظيف وحمل كل القذورات التي كانت متواجدة في القسم ويا سلام على القسم وعلى نظافة القسم..

شكرت الجميع على المجهود الجبار الذي قاموا به والتقطنا الكثير من الصور التذكارية ووعدتهم بإقامة حفلة كبيرة على شرف هذه المناسبة..

كنت متعب كثيرا وأعصابي مشدودة أنا بحاجة الى الراحة والقليل من الاسترخاء ثم أعود إلى التخطيط لهذه الحفلة الكبيرة.

بداية أسبوع جديدة الكل متحمس لرؤية القسم بعد التعديل ركبنا أقفال جديدة أنا الوحيد الذي أملك مفاتحها وكانت النتيجة رائعة مثلما توقعتها لقد هم الجميع بالمرور على قسمنا لرؤية التحفة التي عملناها معا هذه المرة حتى خالد أعجب بالقسم بعد التزيين..

بسسست، نعم؟!! إنها سمرة تناديني، نجمة هي من طلبت من خالد المجيء لكنها لم تدر أنه سيقوم بكل هذه المهزلة، كان كل شيء واضحا لقد اختارته هو في النهاية لا مشكلة لي في ذلك أنا اخترت التكتم على مشاعري وسأتحمل تبعات ذلك..

أريد أن نقوم بحفلة كبيرة وندعو جميع الأساتذة لقسمنا الصغير، قسمت الأدوار على الجميع كل فرد سيحضر شيئا ما حلوى تقليدية حلويات الشارع عصائر سنقوم بشيء كبير هذه المرة وبالفعل حضر الجميع تقريبا وتم شكرنا على كل المبذول الذي قمنا به وهذا أعطى لنا نوعا من المحبة الخاصة في تلك الثانوية أو الميزة التي ميزتنا عن غيرنا..

الفصل السادس

صداقة غريبي الاطوار

كنت قد ذكرت في الفصول السابقة إحدى صديقاتي ووعدتكم بأني سأخبركم بقصتها في فصل كامل هذا الفصل سيكون عنك إيمي غريبة الأطوار.

فتاة ذات قوام ممشوق وشعر طويل كثيف كانت ترتدي طاقية سوداء في أغلب الوقت لم تكن تتحدث كثيرا لكنها كانت تثير ضجة كبيرة في أي شيء تقوم به تحسها كتلة غضب هادئة تنتظر أحد لتنفجر فيه لم أكن أحدثها كثيرا ربما كنت أخاف منها أو ربما لأنها كانت أغرب فتاة كنت قد قابلتها في حياتي..

لماذا ينتقدها الجميع؟ ولم هي كثيرة الشجار مع الأساتذة والإداريين وحتى التلاميذ؟

الكثير من الغموض يحيط بهذه الفتاة وأنا أعشق الغموض سأحاول أن اكتشفه بنفسي..

أتذكر أول مرة كلمت إيمي فيها كانت حصة الموسيقى طلب صاحب النظارات أن تجلس بجانبه زميلة إيمي ففعلت ما يريد ووجدت نفسي جالس بجوار هذه الفتاة الغريبة..

كن على طبيعتك إنها مجرد فتاة!! افتح موضوعا لطيفا!! هيا الآن..

لا أتذكر كيف بدأنا في الحديث لكني أتذكر بشدة انسجامنا مع بعض، لقد زال كل ذلك الغموض إلي كان يحيط بها، إنها ليست غريبة على الإطلاق أفكارنا متشابهة فكلانا يؤمن بمبدأ حرية التفكير وحرية العيش ولا نؤمن بالقيود التي يفرضها المجتمع علينا، لكن على الأقل هي كانت شجاعة بما فيه الكفاية لتطبق أفكارها في الواقع أما أنا فاحتفظت بأفكاري لنفسي.

ما العيب إذا تكلمت بهذه الطريقة أو لبست هذه الملابس؟! قالت إيمي وكلها إنكار لهذه النظرة السطحية للبنت على أنها يجب أن تكون ناعمة ورقيقة ويجب أن تتكلم كالأميرات، لا.. لا يوجد أي عيب، أنت حرة وهذا نمط حياتك الخاص وعلى الجميع أن يحترمه، شكرا وأخيرا وجدت شخصًا متفهمًا..

رن الجرس معلنا نهاية الحصة ونهاية أول وآخر حديث مع إيمي في سنتي الأولى.

كانت إيمي إحدى الفتيات الجديدات الذين أتوا إلى القسم بعد ما مرت على كل التخصصات تقريبا فلقد درست الاقتصاد لفترة بعدها العلوم لفترة قصيرة لتستقر أخيرا في قسم التقني رياضي..

لا زلت تبدو غريبة بالنسبة لي لكن على الأقل أنا أعرف الآن أننا متشابهان بطريقة أو بأخرى، كيف تبدين مع الدراسة؟ كونها أتت متأخرة قليلا في الدروس.

حسنا على الأقل لدى أحفادي الكثير من القصص ليسمعوها عن جدتهم التي درست جميع التخصصات هههه هههه..

واو لقد قامت بإلقاء نكتة هههه هذا طريف نوعا ما، أريد مساعدتك في شيء ما!؟.. أكيد ما هو؟!

هل تريد أن ندرس معا في المكتبة أظن أنك الشخص المناسب الذي يمكنه مساعدتي.. أكيد هذا يبدو رائع بالنسبة لي، وأنا لا أمتلك حتى بطاقة المكتبة والتي ستسبب لي الكثير من المشاكل.

لا أتذكر حتى كيف سمحوا لي بالدخول أول مرة لكنني دخلت وانتظرتهم حوالي الساعة.. هل أنت تمزحين معي؟ أكثر شيء أكرهه هو عدم احترام

المواعيد هممت بجمع أدواتي للرحيل وإذ بها تأتي برفقة شخص لم أتوقع مجيئه!!

هل تذكرون الفتاة التي حدثتكم عنها في الفصل الأول تلك التي أعجبتني لكن الجميع حذرني منها، حسنا اسمها زهرة واتضح أنها صديقة إيمي المفضلة لا أصدق أنها أحضرتها معها!!

ما زالت مثل العام الماضي جرعة مشتعلة من الحماس والنشاط والطاقة الإيجابية أحدثت ضجة كبيرة بمجرد دخولها لا أحد يمكنه إنكار طاقتها الكبيرة لا عجب أنها واحدة من الفتيات الأكثر شعبية في الثانوية لكن ما الذي تفعله مع اثنين من غريبي الأطوار؟

جلسنا نحن الثلاثة وشرعنا في الدراسة لكن لن أكذب عليكم هذه الفتاة ليست عادية إنها تنشر طاقة كبيرة في الأجواء وهذا ما دفعنا لإيقاف الدراسة قليلا والتعرف على بعضنا..

وكان كل ما رأيته مراهقة لطيفة ومرحة ذو أفكار غريبة قليلا، مهلا لحظة إنها نفس أفكاري أنا وإيمي، يا لها من صدفة غريبة! اتضح أننا جميعا في الاخير مرتبطون بطريقة ما ببعضنا..

غيلاس، شاب ضخم البنية يرتدي نظارات بوجه كثير الحبوب يمشي بانحناء، كثير التلعثم في الحديث لأن اللغة العربية ليست لغته الأصلية، اعتبره الجميع اضعف فرد في القسم وأشدهم عزلة وغموضا، سألني إذا أمكنه القدوم للدراسة معنا وبطبيعة الحال وافقت وأصررت عليه للقدوم..

نفس المشكل.. لا تملك بطاقة المكتبة لا يمكنك الدخول، إنها العطلة لا أستطيع إحضار شهادة مدرسية دعني أدخل وسأحضرها المرة المقبلة، تحدثت زهرة مع المسؤول وسمح لي بالدخول..

لماذا نحن هنا؟ وهل نحن هنا فعلا للدراسة؟ إنها العطلة بحق السماء!! أربع غريبي أطوار في مكتبة هل هذه صدفة أم أن للقدر رأي آخر؟!

درسنا حوالي أربعة أيام أو خمس بعدها شعرنا بملل شديد..

سنذهب لحديقة التسلية!! قالت زهرة بطريقتها الحماسية كالعادة: لم أذهب في حياتي إلى الملاهي لا أظنها فكرة جيدة، لكن صدقوني لا أحد يستطيع مقاومة طاقة هذه الفتاة إنها فكرة جيدة..

سبقتنا زهرة إلى المكان ورجع غيلاس ليحضر بعض الحاجيات ويعود، إذن سأذهب أنا وإيمي وحدنا أوك، لا بأس بهذا ما دمنا في إطار التجارب الجديدة..

شعرت بخجل شديد عندما دخلنا لأول مرة إلى هناك كنت أظن أنه مكان مخصصا للأطفال فقط لكن، هاي نحن معا في كل شيء! قالت زهرة، زال كل ذلك الخجل والقلق نحن هنا للعب فلنلعب..

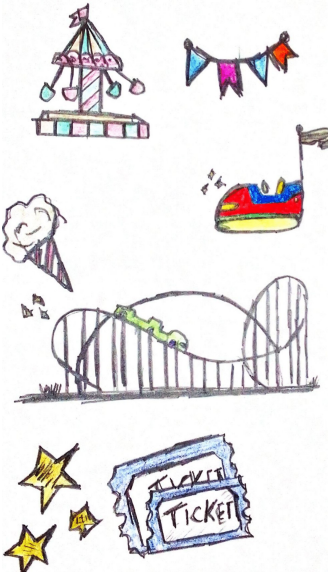

لم نترك لعبة ولعبناها الأفعوانية، لعبة السياراتو الكؤوس وتلكالتي لا أتذكر اسمها بحيث نكون معلقين في السماء، الكثير من الصراخ والمتعة، الأدرينالين يتدفق في أجسامنا يا له من إحساس رائع، أنا حتى لا أصدق نفسي أشعر أنني سأنفجر من الطاقة ربما لأني أجرب كل هذا للمرة الأولى شعرنا بغثيان شديد، يجب أن نرتاح قليلا لكن

لا! فلنأكل البيتزا، قال غيلاس: من يقول لا للبيتزا؟!
بقينا في المكان لحوالي الثلاث ساعات بحكم أننا كنا في المكتبة أولا، لكنها كانت أفضل ساعات في حياتي، أخذنا المئات من الصور التذكارية وكانت الشمس قد غربت يجب أن يعود الجميع لمنازلهم..
لأول مرة في حياتي وأنا عائد للمنزل أحسست أني إنسان أحسست بالحرية والطاقة، لا أحد يستطيع إيقاف حدود الإنسان، عدت للمنزل وأنا أجري وأصرخ لم أستطع أن أتحكم في نفسي أنا حر أخيرا!!
إنها نهاية السنة، لم أعتد على القيام بأي شيء لكن..
هاي، ماذا؟ وصلتني رسالة من زهرة اليوم ستبقى معي إلى منتصف الليل! ماذا؟!! يستحيل أن أفعل هذا أنا دائما ما أنام باكرا مباشرة بعد الصلاة العشاء أحيانا، سنقوم بشيء رائع وأريدك أن تساعدني من منزلك فقط هيا سيكون الأمر مذهلا، اممم حسنا سأبقي نفسي منشغلا بأي طريقة إلى منتصف الليل..
إنها 23:55 تقريبا لا أصدق حتى أني استطعت السهر لهذا الوقت
أذهب إلى النافذة أسرع وسأقوم بالمثل.. بماذا تشعر؟
اممم لا شيء فقط القليل من البرد..
رائع أريدك أن تتنفس بعمق ذلك الهواء البارد وترخي أعصابك.. شهيق.. زفير.. شهيق.. زفير..
والآن أريدك أن تفكر في كل الأشياء السيئة التي حدثت لك في هذه السنة..شهيق..زفير..
إنها 23:59 احبس أنفاسك..00:00.. زفير.
طويل أخرج معه كل تلك الأفكار، كل الأحزان، كل الدموع والضغوطات.. شهيق.. أدخل الهواء البارد إلى رئتيك أدخل كل هذه الطاقة الإيجابية إلى

جسمك واستقبل العام الجديد وكلك علم بأنه سيكون أفضل وأحسن من سابقيه.

بماذا تحس الآن؟ أشعر أني إنسان جديد.

رائع يمكنك النوم الآن سنتحدث غدا ليلة سعيدة أتمنى لك عام سعيد.

الفصل السابع

حالة ضياع

كل شيء يسير على ما يرام نحن ندرس بشكل عادي، لا توجد أي أحداث مشوقة لكني نسيت أن أخبركم بآخر المستجدات..

صلاح الذكي الانطوائي أصبح رسميا واحد من الفتية الأكثر شعبية في الثانوية، إنه إحساس لا يوصف أنا لا أجلس وحدي إطلاقا الجميع يريد أن يتكلم معي ويتعرف علي لأول مرة في حياتي أحسست أني مرأى..

أنا لا أقول إنه تم استقبالي على سجادة حمراء والجميع يهتف باسمي ويريد التقاط صورة معي، لا زلت تلميذا عاديا بطريقة مميزة..

هل أخبرتكم أنني أحب الاجتماعيات؟ منذ أن كنت طفلا صغيرا وأنا أعشق الخرائط والدول وأحب أن أتعرف على تاريخها وشخصياتها البارزة، أظن أن هذه الأستاذة ستقوم بتدريسنا هذه المادة..

أول انطباع تأخذه عنها إنها من الطراز القديم أو الكلاسيكي، تتحدث بثقة وبها بحة مميزة بصوتها، إنها تذكرني أكثر بالسياسيين والبرلمانيين فكلامها كله تشجيع وحماس أريد أن أنهض من مكاني وأصفق أو أصفر لها، هل تعتقدون أننا نتشابه ولو قليلا؟

بالرغم من أني لم أكن رئيس القسم لكن هذا لم يمنعني من القيام ببعض الواجبات تجاه زملائي وأساتذتي، كنت صوتا مسموعا سواء من التلاميذ أو الأساتذة وربما كنت أفرض رأيي بطريقة صارمة قليلا، يا إلهي أنا لا أتعلم أبدا!

أستاذة الإنجليزية، من أشد الداعمين لي في المؤسسة كانت تشجعني، تحفزني وتدرسني كم أعشق هذا المزيج وكانت بارعة في كل هذا، كنت أستمد ثقتي منها.

من يريد أن يقوم بخطاب سياسي ويعرضه على القسم.. الجميع ينظر إلي، أكيد سأفعل من أفضل مني في هذا.. لا أحد، جهزت خطابي باللغة

الإنجليزية وقمت بعرضه والنتيجة كانت أكثر من رائعة الجميع صفق لي وشكرني، أنا فعلا بارع في هذا..

على الجميع أن يلتزم بالنظام الداخلي للمؤسسة، البسوا المآزر احترموا العاملين في المؤسسة، حسنا اعتقد أنني مستثني من هذه القوانين لا أحد يستطيع أن يفرض علي أي شيء، هل نسيتم من أكون؟!!

صلاح طلب منا المستشار أن نتكلم بصوت منخفض فنحن قمنا بإزعاج كبير.. ماذا؟! من هو حتى يأمرنا؟ هيا يا رفاق فلنريهم الفوضى على أصولها!

مجلس تأديبي للقسم كله.. هل فعلا أخافكم هذا؟ لا يستطيعون فعل هذا.. سميرة افعلي شيئا، تحدثت سميرة مع إحدى معارفها في الثانوية وتم إبطال العقوبة.

رأيتم أخبرتكم أنا أسيطر على زمام الأمور.

لقد أصبحت وقحا جدا، لماذا تكلمني بهذه الطريقة؟! قالت أستاذة الشريعة اللطيفة: أنا لا أفعل شيئا، أستاذة لماذا قلتِ لي هكذا؟!! لقد كنت أحبك للطافتك وتواضعك وحسن أخلاقك أما الآن فأنت لا تختلف عن أولئك الأغنياء المدللين أصبحت أكرهك.

نزلت تلك الكلمات كالصاعقة على قلبي لأنها جاءت من قبل أكثر إنسانة طيبة ومحبوبة في المدرسة كلها هي لم تقل أي شيء جارح لأي إنسان في حياتها وهي الآن تكرهني، يا إلهي ما الذي قمت به؟!

صباح اليوم قمت بعمل استبيان صغير سألت فيه زملائي عن رأيهم فيَّ بصراحة وكانت النتائج كالتالي:

- تحب فرض رأيك علينا.

- لا تحترم الأساتذة.

- تناقش بعنف.
- تغيرت كثيرا منذ عرفناك أول مرة.
- صارم جدا.
- شديد العصبية والقلق.

هل أنتم تمزحون معي؟!! أنا لا أرى أنني أفعل أي من هذه الأشياء، أستاذة أنت قدوتي في القيادة، هل تعتقدين أنني أقوم بهذه الأشياء فعلا؟ سألت أستاذة الاجتماعيات وكانت الشخص الوحيد الحكيم فينا، أنا أعتقد أنك متعب قليلا وتحتاج إلى الراحة تعلم كيف تسترخي، أما بالنسبة لسؤالك فنعم لا زال هناك الكثير لتتعلمه عن القيادة يجب أن تعرف متى تكون صارما؟ ومتى تمزح؟ وكيف تتكلم مع كل شخص حسب مكانته؟ لا يمكن أن تتكلم مع أستاذك على أساس أنه صديقك، تحكم في أعصابك وكن جادا في كل شيء لكن حافظ على بشاشة وجهك ولطافتك فأنت لا زلت صغيرا في نهاية الأمر وستتعلم كل شيء في الوقت المناسب.

ستقوم المدرسة برحلة الى دار العجزة واحتاج الى مساعدتك هل انت مهتم؟ تسأل أستاذة العربية، لا اظن انني ارغب في المزيد من المسؤوليات بعد الآن لقد مللت من كل هذا، أنا أعتذر يا أستاذة لكني منشغل قليلا في الدراسة..

أريدك أن تذهب معنا، قال لي غيلاس لقد اعتدنا وجودك، أظن أنها ستكون رحلة مملة بدونك كون الدار في ولاية أخرى ليست بعيدة كثيرا عن ولايتنا، أنا أوافقه الرأي، قالت صليحة: وإذا أردت أنا سأدفع عنك، لا أنا سأدفع..

لم أعرف ما أقوله غير أني شعرت بإطراء كبير، حتى لو كانت فيك بعض صفات الغرور والتكبر لكننا لا نستطيع الاستغناء عنك بأي طريقة، شكرا سمرة دائما صريحة بطريقة وقحة وجميلة في نفس الوقت..

كان يوما ممطرا وباردا بشكل كبير لكن الجميع كان متحمسا وسعيدا كنا نحمل الكثير من الهدايا والحلويات ومتجهين لنقوم بعمل خيري لفئة مهمشة ومنسية..

وصلنا إلى المكان وقام الجميع بعمل ما: تقطيع الكعك، تزيين القاعة، تحضير كلمة بإلقائها، والباقي كان يتحدث مع المقيمين هناك ويحاول إسعاده بأي طريقة..

لا أعرف لماذا لم أقم بأي شيء، انعزلت وحدي وبقيت غارقا في أفكاري..

هاي تعال هذا مصطفى صديقي المقرب لقد تعرفت إلى شيخ خفيف الظل يمزح كثيرا ويحكي قصصا رائعة، اقتربت منه وحييته، يا بني إذا أردت النجاح أبتعد عن هذا الفتى، قال الشيخ لمصطفى وبصراحة لم أتوقع هذا!! لكني تجاهلت الأمر وبقينا نضحك، ربما لاحظني أجلس بمفردي طويلا وظن أنني متعجرفا مثلما يظن الجميع.

قبل خروجنا التقطنا الكثير من الصور التذكارية وأظن ان هذا هو جزئي المفضل في أي قصة صور جادة وسخيفة مضحكة وجماعية، هذا الشيء الوحيد الذي تبقى ذكراه معنا أينما كنا.

دار كبار المحسنين

الفصل الثامن

بداية النهاية

كان عام حافل جدا مليء بالمشاعر المختلطة، الأفراح الأحزان المشاكل والاشتباكات كنا على مشارف نهاية العام الدراسي، هل تفكرون فيما أفكر فيه؟

علينا القيام برحلة مدرسية، سوف أطرح الفكرة على زملائي وأرى ردة فعلهم أتمنى أن يسير كل شيء على ما يرام..

الأجواء ربيعية بامتياز ولا يوجد مكان أفضل من الغابة للذهاب إليه، أعجب الجميع بالفكرة وقمنا بتقديم طلب للمؤسسة لأخذنا في هذه الرحلة وكانت الإجابة نعم!!

لم أذهب في حياتي لتلك الغابة مع أصدقائي قط أنا متأكد أنها ستكون تجربة رائعة..

يستحيل أن نذهب معكم، هذا ما قالته إحدى صديقاتي من القسم النهائي، أنت تعرف أنه ستحدث مشاكل كثيرة إذا رافقتمونا إلى الرحلة أنا اقترح عليكم أن تتراجعوا!!

هل أنت تمزحين معي؟!! إنها فكرتنا نحن وجميع من في الثانوية يمكنه الذهاب، الأمر ليس بيدكم هذه المرة!

سنرى بشأن هذا.. هل تصدقون هؤلاء القوم؟ أمر لا يصدق!

أذكر أن الرحلة كانت بيوم الثلاثاء كانت عطلة وطنية على ما أعتقد، قام القسم النهائي بالذهاب في تلك الرحلة يوم قبل أي يوم الاثنين! بدون موافقة لا المدير ولا الإدارة ولا حتى أحد.. واو ما أشد جرأتهم، أتمنى أن يعاقبوا بشدة على فعلتهم هذه.

عدت إلى القسم أراجع في قائمة التلاميذ المعنيين بالرحلة وها هي المفاجأة أغلبهم تراجع عن الذهاب وكل لسبب معين.. لا.. لا تفعلوا هذا أرجوكم

هذه آخر رحلة هذه السنة من يدري ما قد يحدث العام المقبل، لكن بدون نتيجة..

إيمي، غيلاس، مصطفى وصاحب النظارات المصغر نحن سنذهب معك.. أنتم كل ما أحتاج أصلا، شكرا لكم يا أفضل الأصدقاء..

يوم جميل وغابة تمتد على كل الأفق علينا أن ننتهز الفرصة سنقوم بكل الأشياء الجنونية التي أردنا فعلها في الثانوية، لم نترك مكان إلا وتركنا بصمتنا فيه لعبنا في العاب الأطفال.. غنينا أفضل الأغاني بأبشع الأصوات وخصوصا صوتي.. مزحنا مع الغرباء والوافدين للغابة من جميع الولايات.. صرخنا، صفقنا، جننا بكل ما في الكلمة من معنى حتى أنهكنا التعب فجلسنا.

بعد الغداء والذي كان شهيا جدا إذا كنتم تتساءلون توجهنا نحو بحيرة وقمنا بالاستلقاء وأخذ المئات من الصور المجنونة.

قبل الذهاب أردت القيام بشيء مجنون لأتذكره طيلة حياتي، كنت أتمشى أنا وأستاذتي للشريعة وتحديتها أن نصعد إلى أعلى الهضبة ونصرخ بأعلى صوتنا وهذا ما قمنا به حرفيا ويا إلهي كم كان موقفا محرجا، لقد صعد جميع من كان في الرحلة إلينا ظنا منهم أننا قد تعرضنا لعضة أفعى أو هجوم إرهابي أو ما شابه، لقد ضحكنا حتى أحسست أن فكي سيسقط مني إذا ضحكت مرة أخرى.

كانت رحلة رائعة يستحيل أن أنساها، تعلمت فيها أنه لا يهم المكان الذي تذهب إليه ولا يهم العدد المهم أنك تكون مع الأشخاص المناسبين الذين يعرفون قيمة اللحظة قوة الآن!

رمضان على الأبواب هذه أول مرة سندرس في رمضان لكن ليس مدة طويلة أعتقد يومين أو ثلاث بعدها الامتحانات مباشرة، علينا أن نقوم

بحفلة كبيرة نختم بها هذه السنة الحماسية، أو أخبركم شيئا غيرت رأيي أريد أن نقوم بحفلة مغلوقة أنا وأصدقائي فقط..

وافق الجميع على الفكرة وكالعادة تم تقسيم المهام، قمنا بدعوة أستاذين فقط إذا كنت أتذكر أستاذة الإنجليزية وأستاذ الفيزياء لقد اختارهم القسم كأستاذ العام وأردنا أن نحتفل معهم..

إذا كنتم تذكرون القسم النهائي فقد أخبرتكم أنه كان بانتظاره عقاب شديد من قبل المدير والأساتذة، لقد أصبحوا منبوذين في تلك الثانوية والجميع يتحدث عنهم، وبالرغم من كل هذا فقد قاموا بحفلة في نفس الوقت مع الحفلة التي كنا نقيم بها وإذ بالمدير يطردهم كلهم بحلواهم ومأكولاتهم.. يا الهي هل سيتم طردنا كذلك؟ ستكون تلك نهاية سيئة نختم بها العام، لكن المفاجأة أنه سمح لنا بالبقاء.. فلنبدأ الاحتفال..

كان هناك الكثير من كل شيئ مختلف الاطعمة والحلويات ضحكات في كل مكان، الكثير من الصور الكثير من الذكريات كانت أروع نهاية قد يحلم أو حلم بها أي واحد فينا.

الفصل التاسع

نهاية البداية 1

لا أصدق أنه عامي الأخير في هذه المؤسسة ثلاث سنوات مرت كأنها ساعة من الوقت، أبرز ما سيحدث هذه السنة كما يعرف الكل هو امتحان البكالوريا في شهر جوان القادم..

عام جديد.. أنا مكتفي بنفسي هذه المرة لا شخصية جديدة، لا انفصام شخصية لا شيء فقط أنا فحسب..

أتلقى الكثير من نظرات الإعجاب هذه المرة من الكل ليس فقط الفتيات، لماذا ببساطة لأني الفتى الأكثر شعبية في الثانوية.. هههههه أمزح معكم لقد أصبحت لدي لحية الآن لحية كاملة!! وزاد وزني قليلا أنا شاب بالغ الآن، هل يمكنكم تخيل شكلي ولو قليلا؟ لقد تحسن مظهري كثيرا في السنوات الأخيرة وحسنت من طريقة كلامي وهدأت من انفعالي وتعلمت كيف أحافظ على أعصابي كل شيء على ما يرام هذه المرة أنا أعدكم.

قسم كبير ذكرني بقسمي الأول لكن لماذا؟ فنحن قليلون أعتقد 16 تلميذ أو ما شابه أفضل ما مميز هذا القسم أنه كان بمحاذاة مكتب المدير أي أن لدينا واي فاي مجانا هذه ميزة يستحيل أن تجدها في قسم آخر نحن محظوظون فعلا.

جميع الأساتذة أخبرونا أن هذا العام لن يكون مثل العام الماضي، لا وقت للحفلات، لا وقت للرحلات، لا وقت حتى للدراسة وإكمال المنهج، جهزوا أنفسكم لأصعب عام في حياتكم كلها! واو يا لهذه الافتتاحية المشوقة..

لقد صرت وسيما بهذه اللحية.. لن تصدقوا من جاملني هكذا.. إنها أستاذة الهندسة المدنية هذه أول مرة تجاملني فيها شعرت بإطراء كبير، والخجل في نفس الوقت أنا لم أنس أنني عاملتها بوقاحة شديدة العام

الماضي، سأفعل أي شيء لأصحح غلطتي وسأبدأ الآن سألتزم بقواعدها حرفيا..

انطلقنا في الدراسة ويا ليتنا لم ننطلق كم هائل من الدروس في جميع المقاييس، عشرات القوانين والمبرهنات التي تنتظر أن نبرهن عليها، الكثير من الشخصيات والمصطلحات والتواريخ الواجب حفظها عن ظهر قلب ومقالات متعددة يجب أن تكتبها بنفسك بطبيعة الحال، مهما كانت طاقتك عالية ومعنوياتك مرتفعة لكن تكرار نفس الروتين سيأخذ آخر جرعة من هذه الطاقة..

لم أستطع التوفيق بين كل ما يحدث لكن من حسن حظي أني تلقيت دعما كبيرا من كل أساتذتي وهذا السبب الذي دفعني للاستمرار..

أتذكر جيدا أني كنت أعشق وقت الاستراحة هذا الوقت الذي أجد نفسي فيه محاطا بالكثير من الأصدقاء وأستمتع كثيرا وأضحك وأدردش.. حسنا لقد ولى ذلك الوقت الآن.

لم أكن أرتاح لدقيقة حتى، ندرس أربع ساعات في الصباح، تتخللها استراحة لعشر دقائق على ما أعتقد كنت أبحث عن أي أستاذ ليضيف لي أي معلومة، كنت أفضل مادة الفيزياء أكثر لكوني تقني رياضي ولإقبال أستاذي على مساعدتي..

ساعة من أجل الفطور أحيانا كنت أذهب إلى البيت وأحيانا كنت أبقى في المدرسة وأدرس برفقة أستاذتي للفيزياء.. ثلاث ساعات في المساء.. بالإضافة إلى ساعة أو ساعتين تضيفهم لي أستاذة للفيزياء كذلك، عند العودة إلى البيت لا راحة كذلك أنا أصلا متعب يجب أن أرتاح قليلا لأستطيع الاستمرار في الدراسة.. كنت أدرس حتى أنام على الكتب أحيانا..

أستيقظ يوميا على الخامسة صباحا، أنا لا أستطيع النوم بشكل جيد في الليل، أبكي يوميا قبل النوم وقبل الاستيقاظ، يا ربي أمدني بالقوة لأني على وشك الاستسلام..

كانت ملامح التعب بادية على وجهي نقص وزني بشكل كبير، بدون أن ننسى معنوياتي التي كانت محطمة..

لم تكن النتائج الأولية جيدة على الإطلاق وكدت أخرج من عقلي.. ما الذي يجب علي فعله!؟ أين الخطأ؟ أنا على وشك الجنون!!

لجأت إلى أستاذة الاجتماعيات لأنها الوحيدة التي تعرف كيف تتعامل مع الضغوطات بكل هدوء والتي طلبت مني أن آخذ استراحة وهدأت أعصابي بعدها يجب أن تجمع شتات نفسك وتضع توقيت يساعدك على الدراسة بدون أن تمنح نفسك وقتا للراحة، قالت الأستاذة.

هذه المرة لم تنفع معي نصائح الأستاذة واستمرت حالتي في التدهور..

اجتزنا امتحانات الفصل الأول وأنا بالكاد على أعصابي لكن رياح الإيجابية قادمة من نحوي أنا فعلا بحاجة إليها..

صلاح لقد تحصلت على أعلى علامة في قسمك مبارك عليك المرتبة الأولى.. كانت هذه الكلمات أحلى شيء سمعته في هذه الأشهر الماضية كان وقعها مريح على قلبي الآن يمكنك أن ترتاح قليلا، قال لي الأستاذ..

ما هي العلامة التي تحصلت عليها يا أستاذ؟ 13.. (هي حواليا 60% بالنسبة للذين يدرسون بالتقويم المئوي).

هل تمزح معي هذه علامة سيئة جدا لا تمكنني من دراسة أي من التخصصات التي أريدها، لماذا يهنئني الجميع؟ أنا لست راض عن هذا..

كان آخر أسبوع لنا قبل العطلة.. ما هذا؟!! إنها هدية لي.

أنا لا أصدق قامت أستاذة الاجتماعيات بشراء هدية لي وأخبرتني أمام القسم كله أنني تلميذها المفضل، كم كان موقفا حميميا لطالما اعتبرتها بمثابة والدتي، أنا مدين لها بحياتي على كل الدعم الذي قدمته لي.

أنا لا أعرف حتى كيف اجتزت هذا الفصل لكني أحمد الله على انتهائه.

الفصل العاشر

نهاية البداية 2

عطلة لمدة أسبوعين، لا أعرف حتى كيف أقسمها لكن إن كنت تعلمت شيئا من الأشهر الماضية فعلي البدء فقط.. وبطبيعة الحال بدأت لم أترك مادة ودرستها ولا مقالة وكتبتها، حفظت كل الدروس الطويلة المملة لأتفرغ للمواد العلمية والتي كانت هاجسي الأكبر، لكني لم أحرز أي تقدم فيما يتعلق بهذه المواد الثلاث..

انتهت العطلة بسرعة لم يكفني الوقت لأنهي المراجعة مثلما كنت مخططا، لا أصدق سأعود لنفس روتيني القديم أنا فعلا لست مستعدا لذلك.

الكثير من الدروس الجديدة، الكثير من الحفظ والفهم والخرائط أنا أشعر بالدوار من كل هذا، أظنني سأتقيأ..

يجب أن أحافظ على مركزي الأول وفي نفس الوقت أحسن من معدلي، لماذا لا تدرس دروسا إضافية؟

لا، لا أرغب في ذلك ولا أملك الوقت لذلك! أريد أن أنجح بمجهودي الشخصي! مهلا لحظة.. هل أنا أكلم نفسي؟

انتهى الأمر يا رفاق لقد جننت رسميا..

تمضي الأيام بسرعة والجميع كان يزيد من وتيرته الدراسية، من أين يأتون بكل هذه الطاقة! يجب أن أبذل مجهودا أكثر فمركزي في خطر..

يوم ماطر بشدة، نحن ندرس الهندسة المدنية والأستاذة كعادتها تطلب منا بذل مجهود أكبر، أنهوا تمرين الانحناء وسنقوم بتمرين في المساحات إذا بقي لدينا القليل من الوقت سنقوم بتمرين في الأنظمة المثلثية..

لم أستطع الجلوس كنت أنتقل من تلميذ لآخر أحل جزءا هنا وجزءا هناك، معلومة من عند هذا وذاك..

ما هذا الصفير؟!! من يصرخ في أذني؟! أنا أفقد توازني؟

جلست في مكاني ولأول مرة في حياتي أمر بانهيار عصبي أمام القسم كله..
لا أتذكر التفاصيل كثيرا غير أني بكيت كطفل صغير وصرخت بشدة، الأستاذة ممسكة بيدي وتقرأ علي القرآن هل تعتقد أني مسكون لا زال ذلك الصفير في أذني؟

تعال لنخرج ونتكلم.. أخذت الأستاذة بيدي ومشينا مع بعضنا تحت ذلك المطر تحت تلك الدموع، كانت تلك أول مرة وأكثر لحظة كنت قريبا فيها من أستاذتي يستحيل أن أنسى كل ما أخبرتني به في تلك اللحظة لقد كنت مخطأ في حقها، لقد ظلمتها، أنا أعتذر يا أستاذة أتمنى من أعماق قلبي أن تسامحيني..

طلبت من الأستاذة أن تدعني أبقى تحت المطر لبرهة.. أنا أشعر بطعم غريب.. نعم يا صديقي هذه جرعة من مرارة الأيام.

نظرت إلى النافذة إذ بجميع القسم ينظر لي، هل هذا من كان الجميع يأتي اليه ليقدم لهم المساعدة؟

هل هذا القائد المثالي في نظر الجميع؟

هل هذا من كان يمثلكم ويتحدث باسمكم؟

أنا أشعر بالخجل الشديد سأدخل إلى القسم الأول مرة أظهرت شخصيتي الضعيفة إلى العلن، لا أريد الدخول لكن ها أنا ذا و..

لا شيء، الحصة تسير بشكل عادي لكن كان هناك طاقة حزن كبيرة في القسم، انتهت الحصة وخرجت مسرعا عائدا إلى المنزل متظاهرا بأن شيئا لم يحدث.

إنه المساء عدت للمدرسة وكلي ثقل وكره لا أريد أن أرى وجوههم مرة أخرى أنا أشعر بالضعف، كنا معتادين على التحدث في حلقات كنت جالسا وحدي إذ بالجميع يحيط بي من كل الاتجاهات..

لقد عبروا عن دعمهم الدائم لي وأعطائي الكثير من الأمل والطاقة الإيجابية والتشجيع، يا لهم من مجموعة رائعة هذا النوع من الصداقات يدوم إلى الأبد..

الشيء الوحيد الإيجابي في كل ما حدث أن الأستاذة قبلت اعتذاري وأصبحت علاقتي بها جد مميزة وأصبحت من أكثر الناس الداعمين لي، أخبرتني أنها ستفعل أي شيء من أجلي، اطلب أي شيء مني سأساعدك لتصل إلى أبعد مكان انطلق فقط، بهذه الكلمات اشتعلت نار الحماس في قلبي وعادت الطاقة من جديد، الامتحانات على الأبواب أنا لها هذه المرة.

كم كان أسبوع الامتحانات صعبا جدا لا أريد حتى أن أطلع على النتائج، لكن كانت النتائج كالتالي: بقيت محافظا على معدلي الأول 13 لكن تراجعت مرتبتي إلى المرتبة الخامسة، لا بأس بهذا لم يتراجع مستواك وفي نفس الوقت لم يتحسن.. هل تمزح معي؟ بعد كل هذا التعب لم أتحرك من مكاني.. لقد ضقت ذرعا بكل ما يحدث، أتمنى أن يحدث شيء يجعل كل هذا يتوقف..

فيروس غريب انتشر من الصين وكل الدول تعلن حالة الطوارئ وتفرض الحجر على الجميع، هل استجاب القدر لأمنيتي؟ أنا لا أهتم إنها فرصتي لأدرس أكثر..

تم تمديد العطلة لأسبوعين.. هذا رائع المزيد من الوقت لأدرس..تم تمديد العطلة لأسبوعين.. اممم حسنا سأدرس هذا الأسبوع وأرتاح الأسبوع الثاني..

تم تأجيل امتحان البكالوريا إلى غاية شهر سبتمبر.. كان هذا الإعلان على جميع القنوات ومواقع التواصل الاجتماعي، وكان هذا كل ما أحتاجه لأستسلم..

6 أشهر من الحجر والكورونا.. دوامة كبيرة من الاكتئاب.

اجتزنا الامتحانات النهائية بإجراءات صحية صارمة.. نحن بانتظار النتيجة وكانت النتيجة كالآتي..

يتبع..

خاتمة

سأتوقف هنا، أحتاج أن أجمع أنفاسي قليلا، هذه أول مرة في حياتي أتكلم وأثرثر عما يجول في نفسي.. هل تعتقد أني ثرثرت؟ هل تحس أننا اقتربنا من بعضنا البعض ولو قليلا؟

لقد أخبرتك بأدق تفاصيل حياتي، تفاصيل لم أخبر بها أي أحد، أتمنى أن تحافظ على السر..

(بعد موتك ستصبح دائنا لي).. هههههه أنا لا أعتقد هذا.

لا أحد يدين لأحد بأي شيء ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن..

إلى جميع من دخل حياتي..

إلى جميع من ساندني.. آذاني.. أبكاني أو أفرحني..

شكرا لكم سأبقى مدين لكم طيلة حياتي، شكرا لكل الدروس التي علمتموها لي، شكرا لكل لأنكم غيرتم نظرتي للحياة، شكرا لأنه وبسببكم أصبحت لي هواية جديدة لم أخبركم عنها أنا أدرس علم النفس كهواية سأخبركم عنها في قصة أخرى..

أما بالنسبة لما سيحصل لصلاح، هل نجح في الامتحان؟ هل أثمرت جهوده في النهاية؟ هل ستحدث أشياء مثيرة في حياته الجديدة؟

أنا عن نفسي لا أعرف.. سأترك لكم حرية التخيل، راجيا من المولى عز وجل أن نلتقي في جزء آخر وقصة أخرى في أمان الله..

بقلم محمد حلالس

رسومات ياسمين فرحات